أبحاث ندوة عمارة المساجد، م٢أ، ص ص ١-٢٠، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود (١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م)

جامع الزيتونة بمدينة تونس: عشرة قرون من الفن المعماري التونسي

عبد العزيز الدولاتلي

المعهد الوطني للتراث، وزارة الثقافة

تونس، الجمهورية التونسية

ملخص البحث: لقد ساهمت "الزيتونة" منذ تأسيسها كمسجد وكجامعة من أعرق الجامعات التي عرفتها البلاد الإسلامية في تركيز القيم الإسلامية ونشرها بإفريقية والمغرب، وفي تعميق الانتماء الحضاري لدى شعوبها.

ومن المؤكد أن البناء الحالي يعود في معظمه إلى عهد الخلافة العباسية، وبالتدقيق إلى سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م، كما تذكره النقيشتان الواقعتان فوق المحراب وعلى واجهة ظلة الصلاة الخارجية، وإن ذكر اسم الخليفة العباسي الآمر بالبناء ليدل دلالة واضحة على أهمية هذا المعلم الديني الذي تم وضع أسسه الأولى في أواخر القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، عندما فتح القائد العربي حسان بن النعمان مدينة قرطاج عاصمة البلاد آنذاك ومعها مدينة تونس المجاورة، إلا أنه لم يبق من تلك الفترة الأولى في عمارة المسجد الحالي شيء يذكر.

وعلى عكس ذلك فإن جامع الزيتونة مازال يحتفظ بالإضافات والتحسينات التي طرأت عليه طيلة العشرة قرون منذ إعادة بنائه في العهد العباسي والتي تؤرخها ثلاثون كتابة إما منقوشة على الرخام أو الجص أو الخشب أو مرسومة على الألواح بالإضافة إلى المصادر التاريخية الكثيرة والسخية بالمعلومات البالغة الأهمية.

احتفلت تونس في سنة ١٩٩٦ بمرور ١٣٠٠ سنة على تأسيس الزيتونة فكانت فرصة لإعداد مقالة علمية يقدم بالنص والصورة أهم خصائص جامع الزيتونة المعمارية والفنية وذلك تتمة للدراسات والمقالات العديدة التي كان قد حظي بها هذا المعلم بصفته مؤسسة جامعية ودار علم وقطب إشعاع في تونس وفي بقية البلدان العربية والإسلامية.

وقد كان حرصي شديدا كباحث على استغلال تلك المادة الأثرية الغزيرة جدا والتي لم يقع استغلالها في السابق بما فيه الكفاية كما أجريت أعمال حفر وتنقيب عند إعداد البحث العلمي الذي صدر في نوفمبر ١٩٩٦ (عبد العزيز الدولاتلي، عشرة قرون من الفن المعماري التونسي، نشر وزارة الثقافة، المعهد الوطني للتراث).

ولعل أبرز ما تكشف عنه هذه المادة الأثرية الغزيرة لجامع الزيتونة هو ذلك التنوع الكبير في الأساليب والطرز والتقنيات حتى أن الدارس لهذا المسجد العظيم يشعر وكأنه لا يتناول دراسة معلم بمفرده بل عدة معالم متباينة ومؤرخة بكل دقة وثبات تغطي ما لا يقل عن ألف سنة من الإبداع والابتكار.

وبفضل هذه الدراسة العلمية تمكنت كذلك من توضيح عدة أوجه كانت مجهولة أو غامضة من تاريخ تطور المعلم وتأريخ أساليب وتقنيات البناء والزخرفة التي لم تكن معروفة فأرجو أنني قد سُاهمت بذلك في إثراء مكتبة الفنون الإسلامية في تونس وفي العالم العربي الإسلامي.

المقدمة

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم أهم خصائص عمارة هذا المسجد الذي عرف منـذ تأسيسـه وعلـى مـدى أكـثر مـن عشرة قرون مراحل وتحولات عديدة [١] فتركنا جانبا كل ما يخـص تاريخـه كمؤسسـة دينيـة وتعليميـة باعتبـار أن المؤسسة الدينية والتعليمية أخذت حظها مـن الدراسـات[١].

والجدير بالذكر أن المسجد "يسجل تاريخه بنفسه أو كتابه في حجارتـه" كمـا يقـول أحمـد فكـري[٢:ص١٠٠] إذ أننـا أحصينا ما لا يقل عن ثلاثين كتابة منها اثنتي عشرة منقوشة في الحجارة أو في الرخـام وسـتة علـى الخشـب وواحـدة على النحاس (الثريا المفقودة) وأخرى على الجص والبقية مرسومة على أخشـاب السـقوف. وتبـدو المصـادر التاريخيـة سخية هي أيضا بالمعلومات نذكر منها بالخصوص أبا عبيـد البكـري[٣:ص٣٧] في أواسـط القـرن الخـامس الهجـري/ الحادي عشر ميلادي، الذي أفادنا بمعلومات ضافية حول ظروف تأسيس المعلم وحالتـه في القـرن الـذي عـاش فيـه. وتزداد المعلومات دقة في العهد الحفصي حسب ما جاء في الزركشـي[٤] وابـن الشـماع [٥] وابـن خلـدون[٦] ثم في القرن السابع عشر ميلادي طبقا لتحقيقات إبن أبي دينار[٧] وخلال الفترة الحسينية حسـب مـا ورد في كتـاب إبـن أبي الضياف[٨] وغيرهم ممن أرخوا لهـذه الدولـة.

والمؤكد اليوم أن البناء الحالي يعود في معظمه إلى العهد الأغلبي وبـالتدقيق إلى سـنة ٢٥٠ هـ/ ٨٦٤ م كمـا تفيـد به النقيشتان الواقعتان تحت قبة المحراب وعلى واجهة بيت الصلاة من جهة الصحـن. والمسـتفاد مـن هذيـن النقيشـتين أن الذي أمر بالبناء هو الخليفة المستعين بالله العباسي على يدي مولاه نصـير وبعمـل " فتـح البنـاء". إلا أن المصـادر التاريخية كابن ناجي عن التجيبي تنسب الشروع في البناء إلى الأمير الأغلـبي أبي أحمـد إبراهيـم في سـنة ٢٤٨ هـ/ ٨٦٢ م، لا إلى المستعين بالله العباسي. مما يضعنا في إشكالية تاريخية سبق للكثير مـن المؤرخـين أن وجـدوا لهـا أنواعـا من التفاسير[٢] مثل المؤرخ التونسي حسن حسني عبد الوهـاب[٣ ج١:ص٣٧٩] ولا فـائدة في الرجـوع إليـها الآن. ومـهما يكن من أمر فإن ذكر اسم الخليفة العباسي في النقيشة يدل دلالـة واضحـة علـى أهميـة الزيتونـة تاريخيـا وحضاريـا ودينيا وذلك منذ القرن الثالث هـ/ التاسع م على أقل تقدير. بل مـن تـاريخ فتحـها مـع سـقوط قرطـاج في أواخر القرن الأول على يدي حسان بن النعمان سنة ٧٩ هـ /٦٩٨م. وتتأكد هـذه الأهميـة بكـل وضـوح وعـبر كل المراحل التاريخية من خلال العدد الكبير من الخلفاء والأمراء والولاة الذين ارتبـط أسمـها بهـم بدايـة مـن الخليفـة الأموي عبد الملك بن مروان ووالية على مصر عبد العزيز بن مروان في عهد ولاية حسان بـن النعمـان علـى إفريقيـة. والمعلوم أن بعض المصادر تنسب تاريخ تأسيس المسجد إلى حسان بن النعمان بأمر مـن الخليفـة الأمـوي في سـنة ٧٩ هـ/ ٦٩٨ م حينما افتتح مدينة تونس وأنشأ بها دار الصناعة لصنع المراكـب والغـزو بهـا في البحـر[٣:ص٣٧]. لكننـا

---

[١] نخص بالذكر الدراسة القيمة والشاملة التي حققها زميلنا الأستاذ محمد العزيز بن عاشـور في سـنة ١٩٩١ وعنوانهـا : جـامع الزيتونـة المعلـم ورجالـه, تونـس , دار سراس للنشـر ١٩٩١.

[٢] انتهت الأشغال في عهد أبي الغرانق محمد بن أحمد (٢٥٠ هـ/٨٦٤م – ٢٦١ هـ/٨٧٥م) و"فتـح" الـذي أشـارت إليـه نقيشـتا الزيتونـة في الشـريط الخـارجي الذي يسري على طول واجهة بيت الصلاة وقبة المحـراب الأغلبيـة.

لا نعلم هل هو المسجد الحالي أو مسجد آخر أقيم في مكان آخر، فيكون إن صحت الرواية أن عبيد الله ابن الحبحاب هو المؤسس الحقيقي في سنة ١١٦ هـ/٧٣٤ كما تقترحه بعض المراجع.

ومن بين أمراء بني خراسان الذين حكموا تونس طيلة قرن كامل بداية من أواسط القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي إلى أواسط القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ينفرد أبو محمد عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان بذكر اسمه على نقيشتين من نقائش الجامع، واحدة على الباب الخلفي الفاتح على سوق العطارين، والأخرى في سقف مقصورة الإمام [١:ص١٠٦و١٠٧] . كما أن من أبرز الأعلام الذين احتفظ الجامع باسمهم القاضي عبد الرحمن بن محمد بن الفقيه محرز الذي يعتقد بعض الباحثين أنه من أحفاد محرز بن خلف الذي جاهد من أجل إعلاء كلمة المذهب السني المالكي في تونس.

وتحتفظ الزيتونة باسم الخليفة الفاطمي العزيز بالله أو واليه على إفريقية المنصور بن بلكين بن زيري، ولسنا متيقنين أيهما قد تم محو اسمه من النقيشتين المؤرختين لقبة البهو بعد انتصار المذهب السني في أواسط القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي. كما تحتفظ بأسماء أربعة خلفاء حفصيين وهم المستنصر بالله (٦٤٧ -٦٧٥ هـ / ١٢٤٩ -١٢٧٧م) وأبو زكريا بن اللحياني (٧١١-٧١٧ هـ/ ١٣١١ - ١٣١٧ م) وأبو فارس عبد العزيز (٧٩٦ -٨٣٧ هـ/ ١٣٩٤ -١٤٣٤م) وأبو عمر وعثمان (٨٣٩ - ٨٩٣ هـ/١٤٣٥-١٤٨٨م). هذا بالإضافة إلى الخمسة الذين لم تذكر اسمهم سوى المصادر التاريخية.

إلا أن أهم الأشغال التي حصلت للجامع بعد خروج الأسبان من تونس وتعرض الجامع خلال حكمهم إلى النهب والتلاشي (ما بين ١٥٣٥ و١٥٧٤ م) هي تلك التي قام بها أبو الغيث القشاش أيام حكم الدايات: يوسف داي وعثمان داي وبالخصوص أشغال صهره إمام جامع الزيتونة البكري الذي يبرز اسمه في نقيشتين واحدة على الجص بمنطقة المحراب وتاريخها ١٠٤٧/١٦٣٧[١:ص١٣٢]، والثانية فوق الباب الشرقي الرئيسي[١:ص١٢٧] (شكل ١).
ويحتفظ الجامع بنقيشة مرمرية مكتوبة بالرصاص المذوب تؤرخ بأبيات شعر من نظم الأديب الشريف السوسي للمئذنة التي بنيت في القرن السابع عشر ميلادي على أيام حمودة باشا المرادي، كما تؤرخ نقيشة أخرى مرسومة بالرصاص على الرخام المحفور لبناء الصومعة الحالية بقصيدة نظمها العالم المصلح سالم بوحاجب سنة ١٣١٢ هـ/١٨٩٤م، وتشير النقيشة الخشبية المحفورة في صندوق حمل المصاحف إلى تجديد هذا الصندوق في سنة ١٠٨٤هـ/١٦٧٣م، في عهد حمودة باشا المرادي وعلى يدي محمد باي [١:ص١٤٥] . وبذلك يكون عدد رجال الدولة والدين والوكلاء المذكور اسمهم في هذا الجامع قد بلغ ما لا يقل عن الخمسة والثلاثين يضاف إليهم البناؤون أو العارفون بالبناء الذين أنجزوا أشغال البناء وعددهم عشرة : سبعة منهم تذكر اسمهم النقائش وثلاثة لا نعرفهم إلا من خلال المصادر.
وقد تميز كل عصر بطراز معماري وفني بحيث يمكن من خلال هذا المعلم تتبع أبرز الأطوار والمراحل التي عرفها الفن المعماري التونسي من القرن الثالث الهجري (التاسع ميلادي) إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري (التاسع عشر ميلادي).



شكل ١: نقشية البكري فوق الباب الشرقي

العمارة الأغلبية (القرن الثالث الهجري/ التاسع ميلادي)

لا نبالغ عندما نجزم بأن الفترة الأغالبة (مـــن ١٨٤ هـــ/ ٨٠٠ م إلى ٢٩٦ هـــ/٩٠٩ م) هـــي الـــتي وضعـــت الأسس الأولى لفنون العمارة الإسلامية بالبلاد التونسية وقد كانت بمثابـــة همـــزة الوصـــل مـــع فنـــون البنـــاء المحليـــة القديمة. وجامع الزيتونة هو واحد من بين المباني التاريخية التي خلفها الأغلبية وأعظمها علـــى الإطـــلاق جـــامع عقبـــة بن نافع بمدينة القيروان [١٠:ص١٠٤] الذي حقق الأنموذج المعماري الذي سار علـــى منوالـــه مشـــيدو بيـــوت الله في هـــذه الربوع الإفريقية والنابع من النمط المعماري الأصيل الذي فرض نفســـه منـــذ عـــهد الرســـول ﷺ في المدينـــة المنـــورة حيث كان يصلي بأصحابه تحت ظلة تقيهم من حر الشمس تتقدمها باحـــة كبـــيرة مكشـــوفة. وقـــد اعتمـــد الفـــاتحون المسلمون هذا التخطيط البسيط في المساجد التي بنوها في الأمصـــار الجديـــدة متبعـــين تقريبـــا نفـــس التقســـيم: ظلـــة مسقوفة وباحة مفتوحـــة.

لكن هذا النمط قد تطور خلال الفترة الأموية حيث استكملت المساجد المســـتحدثة جـــل تجـــهيزاتها بإدخـــال عنـــاصر جديدة قد تبدو بدعة كالمحراب والمنبر والمئذنة ومقصورة الإمام. فجاء المسجد الأمـــوي الـــذي شـــيده الخليفـــة الوليـــد بمدينة دمشق سنة ٩٦ هـــ/ ٧١٥م بهذه العناصر المستحدثة بعد فـــترة البســـاطة الـــتي ســـيطرت في أيـــام الرســـول ﷺ والخلفاء الراشدين. وإلى تلك الفترة المتقدمـــة يعـــود بنـــاء قبـــة الصخـــرة (٧٢ هـــ/ ٦٩١م) في بيـــت المقـــدس، والمسجد الأقصى (من ٨٦ إلى ٩٦ هـــ/ ٧٠٥ - ٧١٥م)، ومســـجد الرســـول ﷺ بالمدينـــة المنـــورة (مـــن ٨٨ إلى ٩١ هـــ/ ٧٠٦-٧١٠ م) [١٠:ص٢٦].

و لما أقدم الأغالبة بالقيروان على إعادة بناء المسجد الذي وضع أسسه الأولى القـــائد العـــربي عقبـــة بـــن نـــافع (ســـنة ٥٠ هـــ/ ٦٣٠ م) ثم المسجد الذي مهد له بمدينة تونس القـــائد حســـان بـــن نعمـــان ســـنة (٧٩هـــ/ ٦٩٨ م)

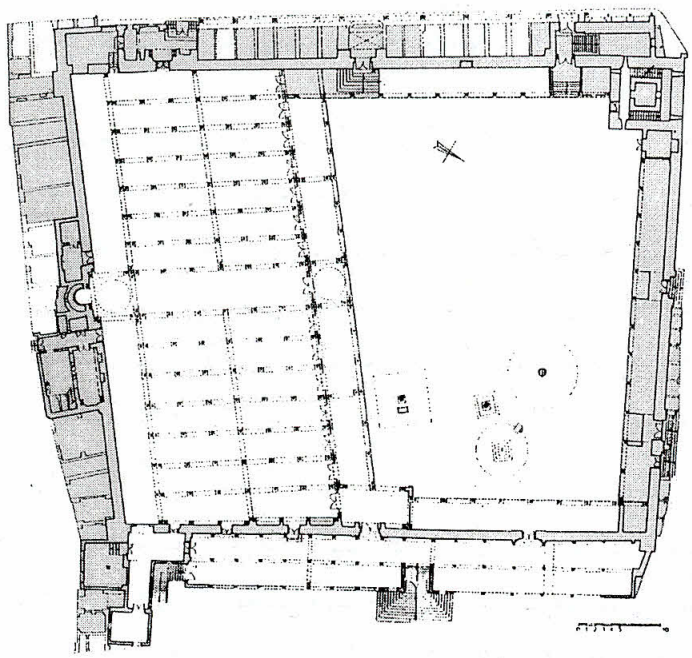
ودعم ركائزه عبيد الله بن الحباب في سنة ١١٦ هـ/٧٣٤ م. كان النمط المعماري الخاص بالمساجد قد نضج وتثبتت عناصره منذ أكثر من قرن.و جامع الزيتونة في وضعه الحالي (شكل ٢) لا يكاد يحتفظ بشيء يذكرنا بتلك الفترات القديمة الراجعة إلى عهد الفتوحات وما بعدها فهو في معظم أجزائه معلم أغلبي يستمد جل عناصر تخطيطه وأحيانا إنشائه من جامع عقبة بالقيروان الذي كان هو أيضا محل تجديد كلي في عهد زيادة الله الأغلبي (سنة ٢٢١ هـ/ ٨٣٦ م) أي قبل إعادة بناء الزيتونة باثنين وثلاثين سنة ميلادية ويعتمد النمط القيرواني السائد بإفريقية والأندلس على أربعة عناصر أساسية :

١) رفع السقوف الخشبية على الأعمدة الموصولة بالعقود

٢) تقسيم الفضاء إلى أساكيب موازية لجدار القبلة وبلاطات متعامدة معه

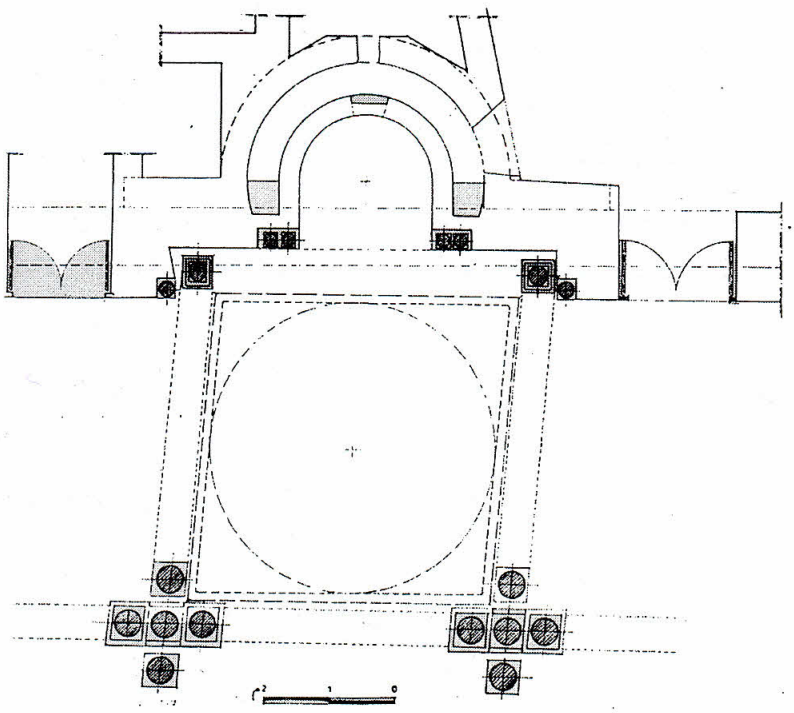
٣) إقامة بلاطة رئيسية أعرض من البلاطات الجانبية وأكثر ارتفاعا تؤدي إلى المحراب تتعامد معها بلاطة معترضة توازي جدار القبلة ولها نفس العرض والارتفاع.

٤) تكون البلاطتان الرئيسية والمعترضة شكلا يشبه شكل التاء اللاتينية (T) كما تشكلان أمام المحراب مربعا تعلوه قبة.



شكل ٢: المخطط العام للمسجد في شكله الحالي.

وقد كان من الضروري ملاءمة هذا التخطيط الهندسي المثالي مع هيئة الموقع الطبغرافي والفضاء المتوفر ذي الشكل المنحرف. مما تطلب من قبل المهندس كثيرا من الحذق والذكاء والحنكة لتطويع الشكل مع المضمون وتلافي كل ما من شأنه أن يخل بسلامة المبنى وقوته من جهة وبجماله ورونقه من جهة أخرى (شكل ٣).

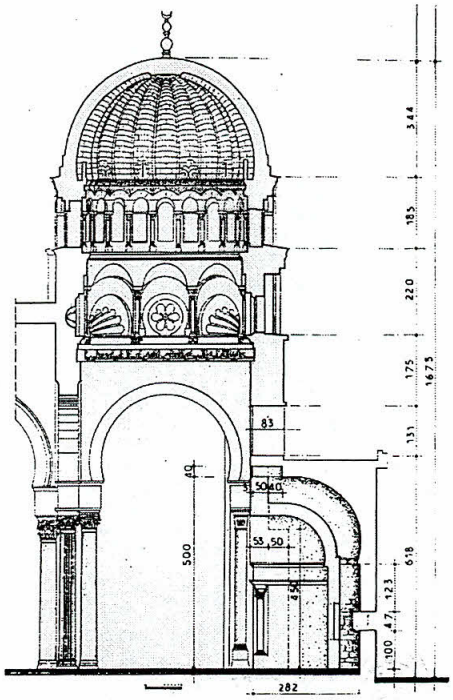


شكل ٣: مساقط مربع قبة المحراب ومقطع المحرابين المتوازيين القديم والحديث.

والدارس لعمارة هذا المسجد يتأكد من أن تقاليد البناء والزخرفة الموروثة عن الماضي المسيحي لا تزال واضحة سواء في طرق الإنشاء أو في أساليب الزخرفة.ويبقى الاختلاف بين الباحثين منحصرا في ضبط نسب تلك الموروثات بالمقارنة مع ما جاء به الفاتحون العرب من أساليب وأنماط جديدة وقيم فنية شرقية إلا أن الاتفاق يكاد يكون تاما بينهم للتمييز بين مدارس إفريقية ثلاث تنتمي إلى جذر أغلبي واحد: أولها المدرسة القيراونية وهي المدرسة الأم[١٠ص ١٠٤] ثم المدرسة الساحلية ومركزها مدينة سوسة وأخيرا المدرسة التونسية التي تمتاز على ما يبدو بكثافة العناصر المحلية [١٣ ص ٦] ويسود الاعتقاد بأن البنائين والنقاشين والرسامين وغيرهم من الحرفيين لم يتركوا مصانعهم بمجرد قدوم العرب [١٤ ص٤٥] .

ويعتقد أحمد فكري أن إفريقية كانت تضم منذ بداية القرن الثالث الهجري طبقة من البنائين اختصوا في بناء القباب وتوارثوا دقائق صناعاتها مما يظهر بكل وضوح في قبة المحراب التي تعود إلى العهد الأغلبي (٢٥٠هـ/٨٦٤م) وقبة البهو (٣٨١ هـ/٩٩١ م) بجامع الزيتونة. والفضل يرجع حسب رأيه إلى القباب التونسية وإلى احتفاظها بمعالمها القديمة في إيضاح الفكرة الإنشائية لبناء القباب الإسلامية [٢ ص٩٠]. وتعد قبة محراب القيروان التي سبقت بسنوات قليلة قبة محراب تونس الأنموذج المحتذى به مثلما اتخذ تخطيط بيت الصلاة جامع القيروان أنموذجا لبيت صلاة الزيتونة ولبيوت صلاة الكثير من المساجد في إفريقية والمغرب والأندلس.

إلا أن " ليزين" يؤكد من جانبه على الفروق العديدة والبارزة التي تفصل بكل وضوح بين قبتي تونس والقيروان معتبرا الأولى واقعة تحت تأثير عباسي مباشر وعميق (الشكل المدبب مثلا)، مما هو عليه في الثانية (الشكل نصف الدائري) حيث أن ذكريات العهود القديمة تبدو أكثر حيوية مما هي عليه بالقيروان وسوسة [١٣ ص ٨٧]. ومع ذلك فإننا نعتقد أن سمات الفن العباسي تبقى واضحة هي الأخرى في قبة تونس لا سيما في استعمال الصدفات الركنية للانتقال من المربع إلى المثمن، أو في الأشكال المتعددة الفصوص التي ستروج بكثرة في العمارة الأموية القرطبية خلال القرن الموالي حتى أنها أصبحت من أبرز سماتها. أما من خارج القبة فإن طنفا يسري حول الرقبة على شكل ربع دائرة محفوفة من الجهتين بمسطرتين ثم حلية مقعرة تليها مسطرة. وهو شكل يذكرنا بتقاليد الزخرفة الرومانية [١٣ ص ٨٣]. وترتكز القبة التي يبلغ علوها ستة عشر مترا على أربعة عقود متجاورة حدودية الشكل (شكل ٤)، مثل عقود القيروان المعاصرة. كما اقتبس بناء الزيتونة عن القيروان طريقة تسوية ارتفاع الأعمدة الرومانية أو البيزنطية الأصل المعاد استعمالها ذلك بواسطة قاعدة تتفاوت ارتفاعا و بتركيب ثلاثة عناصر فوق التاج واحدا تلو الآخر: وسادة ثم مسند وأخيرا طنف.

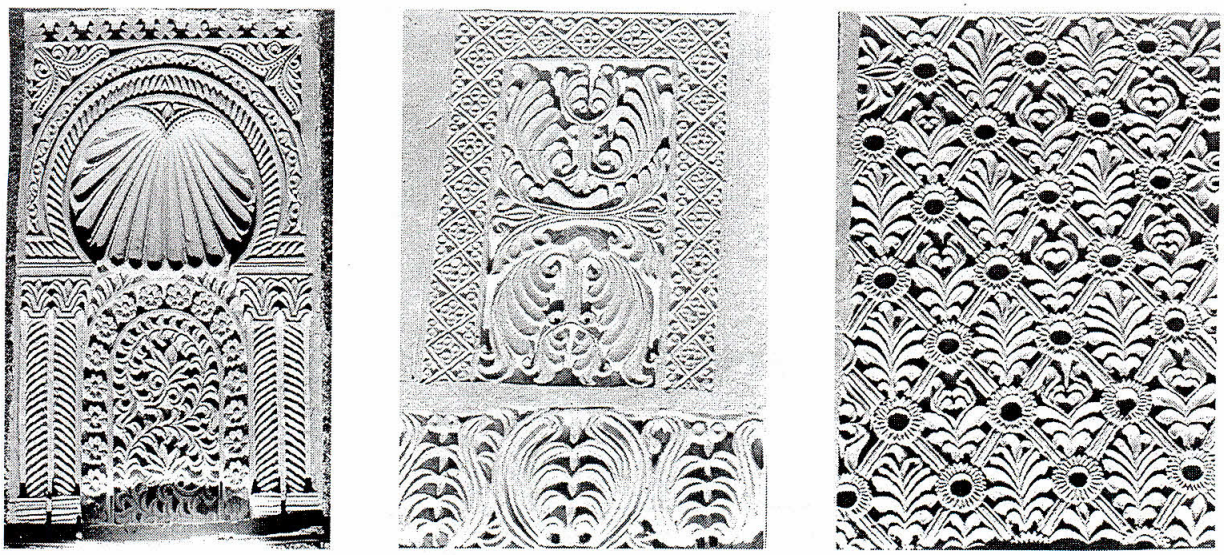


شكل ٤: مقطع عمودي على القبة والمحراب.

ومن المؤكد أن المحراب الحالي قد أضيف في زمن غير معروف، وقد عثرنا من ورائه على حنية لم نستبعد أنها المحراب الأغلبي الأصلي وهي أعرض من حنية محراب القيروان المعاصر (الأولى ,٣٤٥ م والثانية ,٢١٥ م) وأكثر عمقا (٢,٨٢ م و ,١٩٠ م) وارتفاعا (,٥٠٠ م و ,٢٥٠ م) وهو مما يثير التعجب، ولعله من تأثيرات

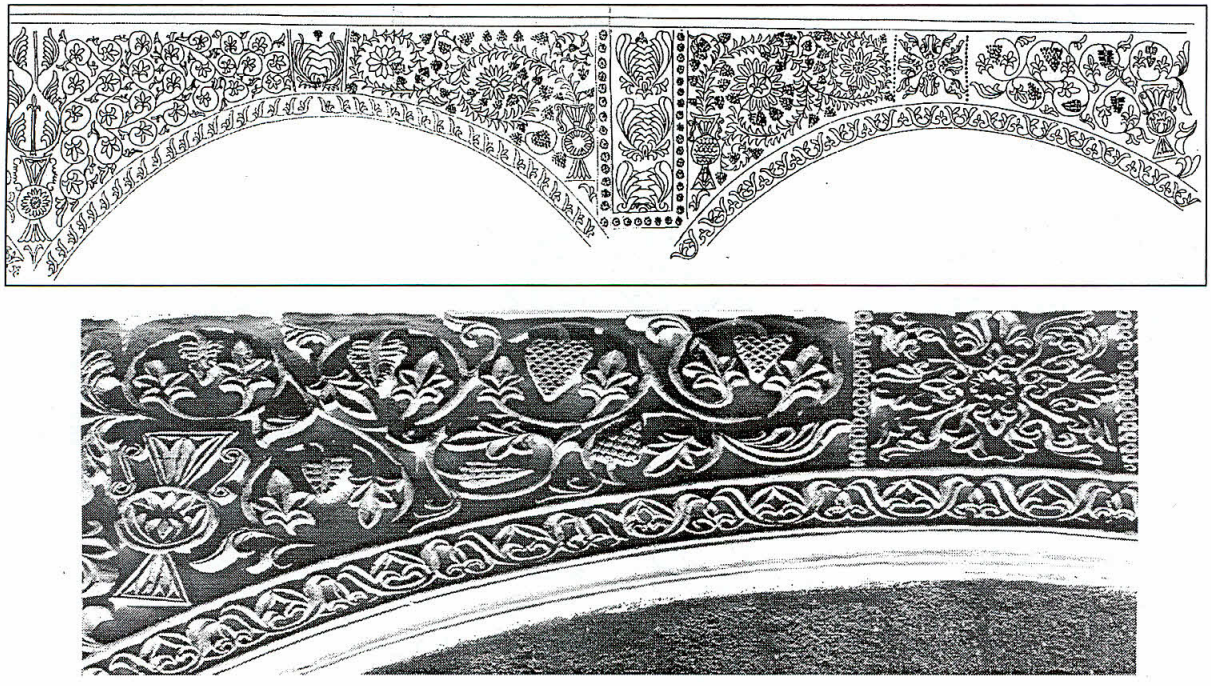
الفنون القديمة إذ نلاحظ أن مسجد القصر القريب من الزيتونة والـذي يعـود إلى العـهد الخراسـاني (القـرن السـادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي) يمتاز هو أيضا بمحراب فسيح نسـبيا (٣٢٧,م عـرض علـى ٤٥٠, م طـول).

وتغطي تجويف المحراب القديم ليقة من الجير ورغم أننا لم نعثر على أي دليل يثبـت أنـه كـان مكسـوا في وقـت مـا بألواح الرخام المخرم على هيأة محراب القيروان إلا أن ألواح الجص المعلقة في أعلى الجدران الـتي تعلـو عقـود البلاطـة المحورية والبلاطتين المحاذيتين لها من جهة القبلة ذات الطابع الأغلبي الواضح (شـكل ٥) حملتنـا علـى الافـتراض كمـا حملت غيرنا من الباحثين الذين سبقونا بأنها قد انتزعت من المحراب وحملت إلى هـذه الأمـاكن الـتي لا ترقـى إليـها عيون المصلين إلا إذا رفعوا رؤوسهم إلى السقف. ومما يدعـم هـذا الافـتراض وجـود رخامـة في تجويـف المحـراب الحالي تحمل زخارف وشريط من الخط الكوفي الأغلـبي يحتـوي علـى الشـهادة تليهـا " والقـرآن كـلام الله". ولعلها كانت تحلي هي أيضا المحراب القديم ثم أعيد استعمالها في المحراب المضـاف. ولكننـا لا نعلـم -بـالضبط- مـتى تمت عملية التحويل ولماذا. ومهما يكن من أمر فإن الألـواح الجصيـة الثمانيـة ولـوح المحـراب المرمـري والمعينـات الجصية العشرة الموضوعة على شوكتها في كوشات العقود وعلى طول بائكتي المجـاز المـؤدي إلى المحـراب والـتي تبـدو هي أيضا قد اقتلعت من مكان ما وحولت إلى هـذه الأمـاكن الغريبـة تشـكل كلـها مجموعـة متجانسـة تعـود في اعتقادنا إلى نفس الفترة الأغلبية أي إلى عهد بناء المسـجد في سـتة ٢٥٠ هـ/٨٦٤ م وهـي مجموعـة فريـدة مـن الجص المنقوش يمكن تأريخها بكل دقة. وكان المؤرخ الفرنسي " لوسيان قولفان" قـد أشـار إلى التجـانس القـائم بـين ألواح القيروان المرمرية وألواح تونس و لم يستبعد انتماء هذه الأخـيرة إلى نفـس العـهد الأغلـبي [١٤ ج٣ ص١٥٦].



شكل ٥: ألواح من الجس المنقوش تعود إلى العهد الأغلبي وتوجد في المناطق المرتفعة للمجاز الرئيسي.

ونحن نعد الكسوة الجصية التي تحلي مدخل البلاطة السابعة الموازية للجدار الشرقي اكتشافا هاما[٣] ولا نستبعد نسبتها إلى العهد الأغلبي (شكل ٦). وهي تذكرنا من حيث مواضيعها الزخرفية لا سيما المستوحاة من التفافات غصون العنب أو النابعة من المزهريات بزخارف طاقية محراب القيروان الأغلبي والتي كما لا يخفى تستمد جذورها من التراث المسيحي المبكر سواء الشامي أو الإفريقي.

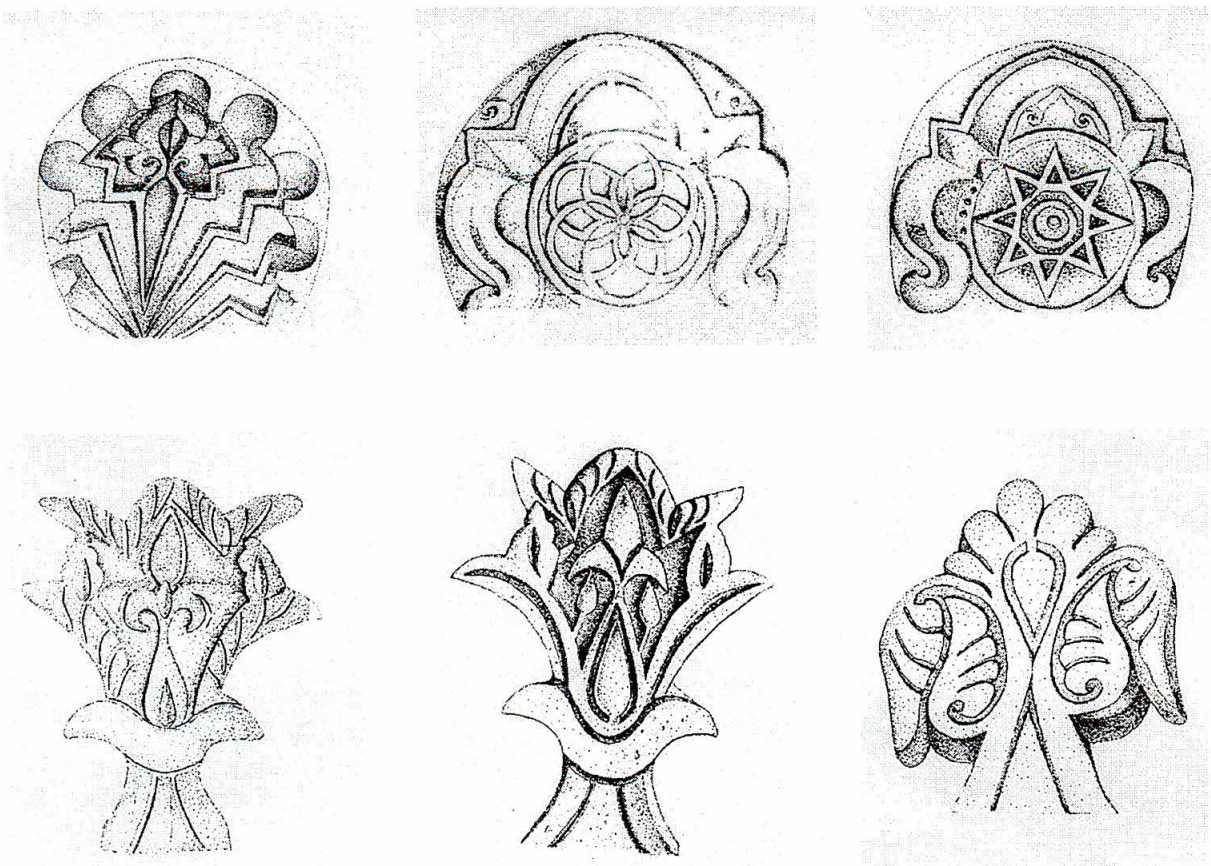


شكل ٦: الزخارف الجصية الواقعة شرقي بيت الصلاة: المشهد العام وأحد التفاصيل.

كل هذه الزخارف الجصية والتي توحي لنا بمدى الثراء الزخرفي الذي كان عليه الجامع الأغلبي من الداخل. وهو نفس الثراء الذي يبرز في قبة المحراب ولربما في المحراب الأصلي نفسه . كما يبرز في بعض أجزاء المنبر الحالي [١، ص ١٤٢] (شكل ٧) الذي يحتفظ بجزء كبير من عناصره الأغلبية. وبأسواره المتينة وأبراجه المرتفعة يبدو من الخارج وكأنه حصن حصين ذلك أن المعلم حسب تصورنا له في العهد الأغلبي [١، ص٨٤] كان حقا على شكل قلعة منيعة يدعمها شرقا برجان أسطواني الشكل تماما مثل جامع مدينة سوسة الأغلبي [١١] . مما يذكرنا بالقصور الأموية بالشام [١٠ ص ٥٤ و٥٥] وبقصور الأغالبة بإفريقية وبالرباطات كرباط سوسة ورباط المنستير وبجامع القيروان نفسه المحصن والمدعم بالأبراج والدعامات[١٢ ص ١٠٤] ذلك أن العمارة الرسمية الأموية والعباسية وبالتالي الأغلبية مدنية كانت أو دينية كانت تقريبا على نفس المظهر الخارجي المحمي بالأسوار والأبراج وكأنها منشآت دفاعية.

---

٣ – لقد انفردنا بنشر هذا الاكتشاف والغريب أن أحدا لم يتفطن إلى وجود هذه الزخارف الجصية الأغلبية ولربما الذين درسوا هذا المعلم لم يولوها الأهمية التي تستحق و لم يرد بخاطرهم أنها أغلبية [١ ص ٨٦].



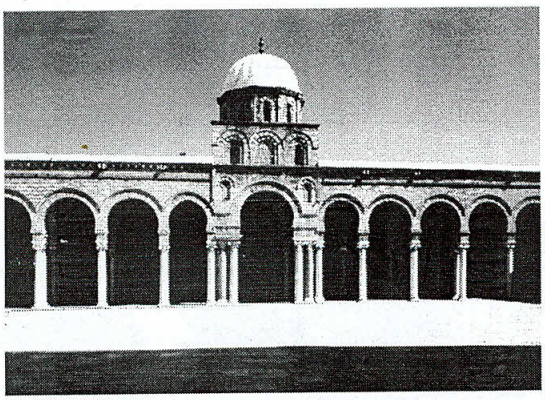
شكل ٧: قبة البهو: أصناف من زخارف العقود والشرفات.

العمارة في العهد الصنهاجي وتحت حكم دولة بني خراسان
(من القرن الرابع إلى القرن السادس الهجري/ العاشر إلى الثاني عشر ميلادي)

منذ أن اكتمل بناء الزيتونة في العهد الأغلبي كان الفن العربي الإسلامي قـد تطـور تطـورا ملحوظـا حـتى أن أسـلوبا زخرفيا قد نشأ بمدينة سامراء التي بناها الخليفة العباسي المعتصـم بـن الرشـيد بدايـة مـن سـنة ٢٢١ هـ/ ٨٣٦ م وعرف بأسلوب سامراء. لكنه لم يؤثر في العمارة الإفريقية الأغلبية إلا بعد مهلة طويلـة نسـبيا. لذلـك لم تـبرز آثـاره في الزيتونة التي أنشئت بعد ربع قرن تقريبا من إنشـاء سـامراء [١٧]

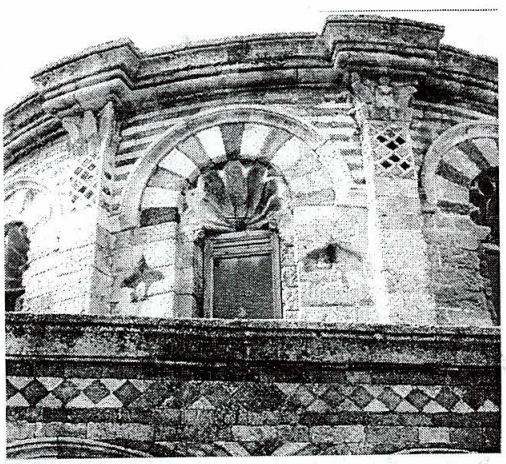
لكن بقدوم الفاطميين وتأسيسهم لعاصمتهم الأولى المهدية وعاصمتهم الثانيـة صـبراء المنصوريـة [١٠ ص ١٢٧] يبـدو أن المد الشرقي العباسي قد توغل بإفريقية بأكثر قوة بعد أن اكتسح مصـر ونفـذ إلى الأندلـس. وهـو مـا نلمسـه بهـذا الجامع بالذات وبقبة البهو على الوجه الأخص التي شيدها بنو زيري عشـرون سـنة تقريبـا (مـن ٣٨٠هـ/٩٩٠ م إلى ٣٨٥ هـ/ ٩٩٥ م) بعد خروج الفاطميين إلى مصر مـع المجنبـات (أي الأروقـة المحيطـة بـالصحن) والدامـوس (أي المواجل) كما تشير إليه الكتابة التي تجري حول القاعدة المربعة للقبة وعلى وسـادات التيجـان الـتي تحملـها والـتي تذكر أسماء البنائين الأربعة وهم : أحمد البرجيني وأبو الثناء وعبد الله بن القفـاص وبشـر بـن الـبرجيني . [١٨ ص ٣٣]

وتعتبر هذه القبة بواجهتها الفسيحة (شكل ٨) المطلة على الصحن وبزخارفها التي تعتمد على تناوب اللونين الأبيض والأحمر معلما بالغ الأهمية نستطيع اليوم أن نستطلع من خلاله ملامح الفن الفاطمي والزيري بإفريقية كما نكتشف أهم الإبتكارات التي طرأت على الفن الإفريقي بعد مرور مائة وثلاثين سنة على إعادة بناء الزيتونة حيث تقف في المدخل الرئيسي المؤدي إلى المحراب وترتفع إلى ستة عشر مترا تماما مثل قبة المحراب.



شكل ٨: الواجهة الرئيسة لقبة البهو المطلة على الصحن.

لعل سر النجاح في هذا البناء يكمن في ترتيب الكتل بصفة تفاضلية تتدرج من الأسفل إلى الأعلى حسب شكل هرمي متصاعد : عقود محمولة على السواري فقاعدة مربعة ثم عنق اسطواني وأخيرا طاقية نصف كروية مضلعة . ومما يزيد في رونق البناء استعمال الحجارة الصغيرة المهندمة ذات اللونين الأبيض والأحمر في فقرات العقود وكوشاتها والمداميك وأفاريز المربعات الموضوعة على الشوكة وأبدان الأكتاف الحاملة للطنف أين تتناوب بانتظام وتناسق مشكلة مواضيع زخرفية متنوعة(شكل ٩).

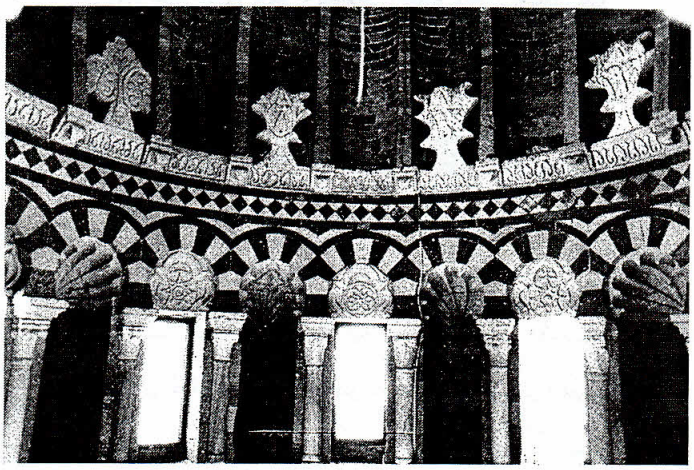


شكل ٩: قبة البهو تفاصيل خارجية.

كما نجد في تجويف عدد من الطاقات زخارف ذات أشكال هندسية تتناوب فيها الأحجار البيضاء والحمراء والشهباء وأحيانا الزرقاء حتى أن هذا الأسلوب الزخرفي المعتمد على الألوان قد أصبح من السمات المميزة

والبارزة لهذا الفن (شكل ١٠). وهو في نظرنا ابتكار من ابتكـارات المدرسـة المعماريـة التونسـية ويذكرنـا بـالفن المعماري الأموي القرطبي و بالفن البيزنطي مع أنه أخذ هنا أبعادا وصيغا متمـيزة وهـو يسـتغل الحجـارة الملونـة دون غيرها ولا يلجؤ إلى الأجر كما هو الشأن في الجامع الأمـوي بقرطبـة.

وعلاوة على ذلك فإن أشكال العقود قد أخذت بدورهـا مظـهرا زخرفيـا لا سـيما العقـد ذي الخطـوط المسـتوية والمنحنية كما أن الزخارف الجصية التي تحلي الكوشـات (شـكل ١١) والشـرافات الحجريـة الـتي تحيـط بانتظـام وتناوب بالرقبة المستديرة تنم كلها عن تجديد جـذري في أسـاليب الزخرفـة المسـتوحاة مباشـرة مـن فنـون بـلاد الرافدين العباسية[١٦] كعنصر شجرة الحياة والمواضيع المجنحة حيث كان لفـن سـامراء الـدور الكبـير في ارسـاء فـن إسلامي متميز عما سبقه أو عاصره من الفنون. فواكبت تونس هذا التطور ولـو بشـيء مـن التأخـير.



شكل ١٠: رقبة قبة البهو من الداخل على مستوى العنق المستدير.

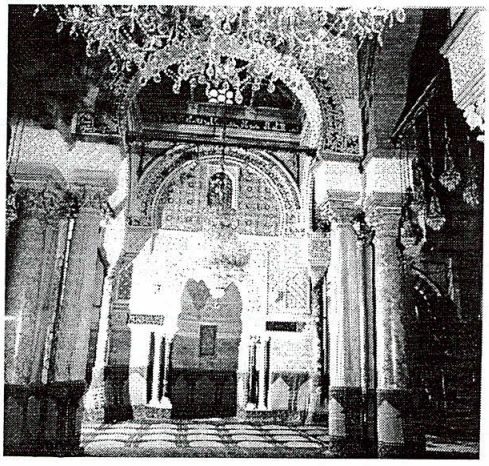


شكل ١١: أصناف من الزخارف الجصية التي تحلي كوشات العقود.

ويعد أسلوب البناء المتوخى في العهد الخراساني امتدادا طبيعيا للأسلوب الذي فرض نفسه في واجهـة قبـة البـهو كمـا أنه يستوحي عددا من عناصره مما بقي لنا من الجامع الذي شـيده أبـو عبيـد الله المـهدي مؤسـس الدولـة الفاطميـة بمدينة المهدية في سـنة٣٠٨ هـ/ ٩٢٠ م لا سيما استخدام الحنيات الزخرفية لتنميـق الواجـهات ولـو أن هـذا

الاستخدام نجده من قبل وقد أشرنا إلى وجوده في قبتي المحراب بجامع عقبة بالقيروان وبجامع الزيتونة بتونس وغيرهما. ولكنه يبدو في العهد الفاطمي والعهد الصنهاجي أكثر رواجا حتى أن تجويفات المحاريب بإفريقية التي شيدت ما بين القرنين الرابع هـ/ العاشر م والسادس هـ/ الحادي عشر م لا تكاد تخلو من هذه الأشكال الزخرفية البحتة. وقد راج هذا الأسلوب في القاهرة نفسها حيث نشاهده في المساجد التي شيدها بنو عبيد [١٠ ص ١٤٧].

وقد اقتصر الخراسانيون في الزيتونة على إضافة بوابات جديدة منها باب سوق العطارين المؤرخ في ٤٧٤ هـ/١٠٨١ م بواسطة نقيشة تحمل اسمي العريفين الذين أشرفا على هذا الإنجاز وهما عبد الغني بن المليلي وعوض بن القبيطي [١٨ ص ٣٣] كما تحمل اسم الأمير الذي أمر بهذا البناء وهو أبو محمد عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان الذي قام بإنجازات أخرى مؤرخة هي أيضا بمقصورة الإمام ولعله هو الذي أعاد واجهة المحراب التي بقي منها زخارف لحنيات مستطيلة ذات العمق المسطح (شكل ١٢) ولا نستبعد كذلك أن يكون هو أول من خلفه من أمراء بني خراسان الذي كان السبب في طمس المحراب الأغلبي القديم وتعويضه بالمحراب الحالي الذي استعملت فيه ساريتان تحملان تاجين من الصنف الزيري الخراساني ثم في نقل ألواح الجص الأغلبية من ذلك المحراب القديم إلى أعلى البلاطة المحورية.



شكل ١٢: واجهة باب مقصورة المنبر: الجزء الأعلى من عهد بني خراسان والجزء السفلي من العهد الحفصي.

ومن المعلوم أن الفنون الزخرفية في العالم الإسلامي قد شهدت خلال القرن الخامس هـ/ الحادي عشر م تطورات سريعة تتسم بمزيد التجريد والابتعاد عن النماذج الطبيعية والاقتراب شيئا فشيئا من الأشكال الهندسية, فواكبت تونس هذا التطور بينما بقيت محافظة شيئا ما على أساليب البناء والتشييد الموروثة ما لا يقل عن القرنين شأنها في ذلك شأن جل الأقاليم حيث نجد تضاربا نسبيا بين فنون البناء التي تبقى أكثر محافظة على التقاليد المحلية الأصلية وفنون الزخرفة التي تخضع بأكثر سهولة إلى التحولات السريعة إن لم نقل إلى الموضات التي تطرأ باستمرار في مراكز الحضارة الإسلامية ومنها تنتشر إلى كافة البلدان. وما أدل على ذلك ما عرفه الخط العربي

الذي وحد بين الشعوب الإسلامية من تطور مغيرا أساليبه من عصر إلى عصر حيث تحتفظ لـه الزيتونـة بنمـاذج حيـة تشهد على التطورات العميقة التي عرفها ما بين القرن الثالث هـ / التاسـع م والعصـر الـذي يعنينـا هنـا أي القـرن الخامس هـ/ الحادي عشر م وإلى ما بعد هـذا العـهد.

عمـــارة بني حفـــص

(من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجري/ الثالث عشر إلى السادس عشر ميلادي)

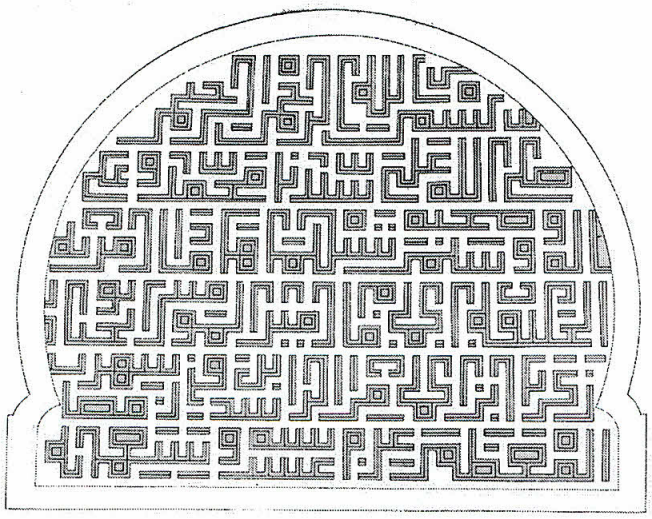
لقد أعطى الحفصيون العمارة التونسية المظهر الذي بقيت محافظة عليه لمدة طويلة بعـد انتـهاء حكمـهم ويرجـع لهـم الفضل في تنظيم التدريس بالزيتونية التي كانت كما هو معلوم مـن أولى الجامعـات الإسـلامية وأعرقـها وقـد تخـرج منها منذ القرن الثاني للهجرة فطاحل في العلوم الدينية والدنيوية كخالد بن أبي عمـران التجيـبي (تـوفي حـوالي سـنة ١٢٧ هـ) وعلي بن زياد التونسي الذي سمع من مالك وتفقه عليه وروى عنه موطـأه ولـه كتـب في مذهبـه والـذي كان سحنون تلميذه وسمع منه البهلول بن راشد وأسـد بـن الفـرات [١٩].

وقد واكب التطور العمراني الذي عرفته المدينة في العهد الحفصي إثر انتقالها إلى عاصمـة لمملكـة قويـة نشـاط علمـي وتعليمي لم يسبق له نظير كان مركزه الجامع الأعظم والمدارس التي أنشئت من حولـه والـتي تعـد المدرسـة الشـماعية التي بناها أبو زكرياء الحفصي مؤسس الدولة الحفصية أولى المدارس في المغرب والأندلـس و قـد كـان عبـد الرحمـان بن خلدون وليد مدينة تونس من أبرز خريجي الزيتونة وأعظمهم شأنا على الإطـلاق وقـد عـاصره كمـا هـو معلـوم الإمام بن عرفة الذي نبغ من جهته في علوم الفقه. وفي ظل هذه الدولة شهد الفـن المعمـاري تحـولات عميقـة وثريـة يمكن حصرها في أسـلوبين: [٢٠ ص ١٣٨]

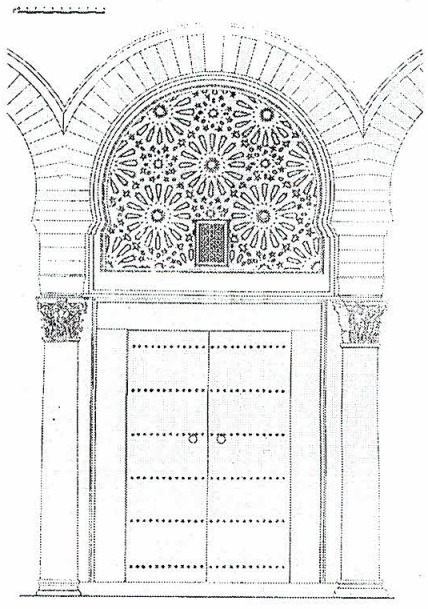
أولاً: أسلوب يأخذ أصوله من الفن المغربي الأندلسي الذي تدعم في افريقية عن طريـق الحفصيـين بدايـة مـن القـرن السابع هـ/ الثالث عشر م و الحفصيون هم أصيلو جبال الأطلس بـالمغرب وكذلـك عـن طريـق الهجـرة الأندلسـية التي تواصل مدها بدون انقطاع بداية من القرن السابع هـ/ الثالث عشر م. وأحسـن مثـال لهـذا الأسـلوب الجـامع الذي بناه أبو زكرياء بالقصبة في سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م بإشراف علي بـن محمـد بـن قاسـم. إلا أن هـذا الطـراز لم يترك بصمات عميقة في عمارة الزيتونة ما عدى الواجهة الخشبية الرائعة التي أضافها أبـو يحـي زكريـاء بـن اللحيـاني في سنة ٧١٦ هـ/ ١٣١٦ م (شـكل ١٣, ١٤).

ثانياً: أسلوب يبدو أنه قد تمركز بقوة خلال حكم أبي عمـرو عثمـان الـذي دام نصـف قـرن (٨٣٩ هـ - ٨٩٣ هـ/١٤٣٥ م - ١٤٨٨ م) أي خلال القرن التاسع هـ/ الخـامس عشـر م وتـألقت بفضلـه الميضـاة المعروفـة " بميضاة السلطان" الموجودة إلى الآن أمام المسجد في سوق العطارين وهي من إنجـاز البنـاء المـاهر أحمـد القسـنطيني في رجب ٨٥٤ هـ/ ١٤٨٤م (شكل ١٥). ونفترض أنه هو الذي قد شـيد مقصـورة أبي عمـرو عثمـان (شـكل ١٦) وواجهتها المطلة على سوق الفكـة وهو كذلـك الـذي أضـاف البـابين الفـاتحين واحـد علـى مقصـورة المنـبر

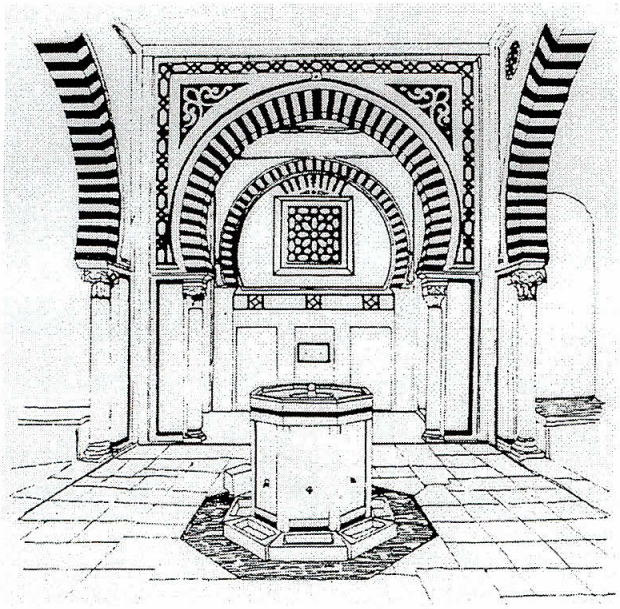
(شكل١٧) والثاني على مقصورة الإمام ولربما أيضا واجهة مدخل سوق القماش الفخمة من جهة سوق الترك الملاصقة للصومعة أين كان الكتاب والسبيل الذين أمر بهما أبو عمرو عثمان.



شكل ١٣: نقيشة على الباب الرئيسي لمدخل ظلة الصلاة.



شكل ١٤: رسم لأحد الأبواب الخشبية الحفصية.



شكل ١٥: منظور داخلي لميضأة السلطان.

وقد امتاز العهد الحفصي بثبوت قدم نوع خاص من التيجان الذي اصطلح على تسميته " بالتاج الحفصي" الذي كان ينافسه لكن بأقل رواج التاج المغربي الأندلسي (شكل ١٧) إذ اعتنى الحفصيون بنحت أعمدتهم بكامل أجزائها على عكس ما جرت

به العادة في القرون الأولى من إعادة استعمال الأعمدة والتيجان المأخوذة من المواقع الأثرية القديمة. والفروق واضحة بـــين الطرازين السالفي الذكر ففي حين تعتمد تصاميم واجهات الطراز الثاني على ألواح المرمر الأبيض والأسود لإخفاء الجـــدران عوضا عن الواجهات الحجرية ذات اللونين الأبيض والأحمر التي اختص بها العهد الصنهاجي والخراساني تستعمل في الطـــراز الأول ذي التأثير المغربي الأندلسي بلاطات الجليز أو القاشاني في أسفل البناءات وفي أعلاها الزخارف الجصية .ولعل الطـــراز الثاني قد أتى إلى تونس عن طريق التأثيرات المملوكية المصرية بعد أن أصبحت القاهرة في العهد المملوكي عاصمة من أعظـــم عواصم الدولة الإسلامية وأوسعها تأثيراً.

وبامتزاج الطرازين واختلاطهما بتقاليد البناء المحلية اتضحت شيئا فشـــيئا السـمات البـــارزة للعمـــارة التونســـية خـــلال العهد الحفصي ومن بعـــده.



شكل ١٦: باب مقصورة أبي عمرو عثمان (عام ٨٥٤هـ).



شكل ١٧: تاج عمـــود مـــن النمـــط المغـــربي الأندلســـي

العمارة في العهدين المرادي والحسيني

(من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري/السابع عشر إلى التاسع عشر ميلادي)

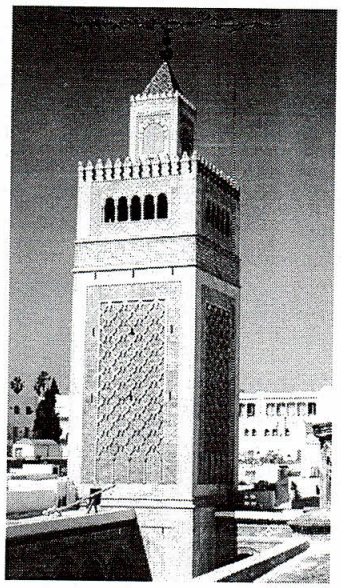
قد لا نشعر بأن العمارة التونسية قد عرفت بعـــد الفتـــح العثمـــاني في أيـــام حكـــم الدايـــات ثم البايـــات المراديـــين والحسينيين تطورا كبيرا من خلال ما خلفه هؤلاء الحكام من آثار بجامع الزيتونـــة طيلـــة قرابـــة أربعـــة قـــرون (٩٨١ - ١٣٧٧ هـــ/ ١٥٧٤ - ١٨٩٤ م) وهذا لا يعني أن هؤلاء الأمراء أو من خلفـــهم علـــى إدارة الجـــامع لم يولـــوا هـــذا المعلم الديني ما يستحقه من العناية. وكل ما في الأمر أن المسجد كان قد أخذ طيلة الثمانيـــة قـــرون الـــتي تلـــت إعـــادة بنائه في العهد الأغلبي أبعاده الحقيقية وزود بأهم المرافق إلا ما قل ونـــدر كالمكتبـــات والميـــض والســـقايات فلـــم يبـــق

لهؤلاء إلا أن يتعهدوه باستمرار وأن يحافظوا عليه بصفته معلما قد نال بطول الزمان وتواتر العلماء والطلبة على حلقاته شهرة كبيرة ومزيدا من التقدير والإجلال في كامل أنحاء العالم الإسلامي. فتلاحقت أشغال الترميم والتجميل بنسق سريع.إلا أن أهم ما أنجز هي الأشغال التي قام بها تاج العارفين البكري بصحن الجنائز وبواجهة المحراب (١٠٤٧- ١٠٤٨ هـ/ ١٦٣٧-١٦٣٨م) ثم بناء المئذنة الحالية (١٣١٢ هـ/١٨٩٤م). ونحن إذ نؤكد على هذه الأشغال فلأننا نعدها من رموز العمارة التونسية التي حافظت على مقوماتها ومواصفاتها والتي أخذ بفضلها المسجد مظهره النهائي واكتملت بها شخصيته حتى أنه لا يمكن اليوم تصوره دون الصومعة أو من غير رواق صحن الجنائز أو بمحراب آخر غير المحراب الحالي.

وليس من قبيل الصدف أن خلد التاريخ أسماء المهندسين الثلاثة الذين أنجزوا هذه الأشغال: أولهم محمد الأندلسي ابن غالب الذي ورد اسمه في النقيشة التي تؤرخ للواجهة الشرقية المطلة على البحيرة ولكامل صحن الجنائز وبالخصوص في إضافة رواق على طول تلك الواجهة يتكون من ثلاث بائكات محمولة على السواري ذات قواعد مرتفعة وتيجان حفصية، حتى أن الناظر المتبصر في هذه الإضافة يشعر بإستمرارية التقاليد الحفصية سواء في مستوى صيغة رفع الأسقف أو في تركيب عناصر السواري : قاعدة وعمود وتاج ومسند ثم طنف يحمل العقد الحدوي المألوف ذي الفقرات المهندمة بكل دقة وإتقان .

وأما الزخارف التي نشاهدها اليوم في منطقة المحراب فهي تعود إلى نفس الفترة الزمنية ولربما إلى نفس العريف فقد كسيت برداء من الجص المخرم المحفور حفرا جيدا ودقيقا والمعروف في تونس " بنقش حديدة" وترتقي تلك الكسوة إلى مستوى القبة حيث تكسو واجهاتها الداخلية إلى حدود القبة حيث تكسو واجهاتها الداخلية إلى حدود منطقة الانتقال فقط دون أن تتوغل في المناطق العليا التي بقيت محافظة على زخارفها الأغلبية. ومن مزايا هذه الكسوة الجصية ذات الثراء البالغ أنها تقدم نماذج مؤرخة بكل دقة تعود إلى أواسط القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي, بحيث يمكن اعتمادها في تأريخ غيرها من لوحات الجص المنقوش في معالم أخرى. أما المئذنة الحالية (شكل ١٨) فتحمل اسمي الأمينين في البناء وهما سليمان النيقرو والطاهر بن صابر اللذين أشرفا على إنشائها بهذا الحجم الكبير (ارتفاعها ٤٢ م وعرض قاعدتها ٩ م) وهي على أربع طوابق: قاعدة ثم بدن يحمل زخارف ذات معينات متقاطعة على نمط زخارف جامع القصبة الحفصي ورقبة فاصلة بين درابزين يفتح من الجهات الأربع بواسطة نوافذ ذات خمسة عقود متناوبة الفقرات بيضاء وسوداء محمولة على السواري ومؤطرة ثم جامور هرمي ينتهي بثلاث رمانات وهلال.

ولا شك أن هذه االصومعة بفخامتها ورونقها وتناسق أجزائها تمثل عصارة تجربة طويلة وهي نتيجة لتراكم معرفي دام أكثر من عشرة قرون من البناء والتشييد لكنها وللأسف تعد نهاية المطاف لفنون البناء التونسية العربية الإسلامية ذات الجذور العميقة والمآثر الخالدة،ويعتبر جامع الزيتونة المعمور السجل الحافل الذي جمع في رحابه جل الأساليب التي عرفتها تلك الفنون في هذه الربوع فأرخها بكل دقة ذاكرا أسماء الذين أمروا بإنجازها أو أشرفوا عليها أو عملوا في بنائها وزخرفتها.



شكل ١٨: المئذنة الحسينية.

المراجع

[١] الدولاتلي, عبد العزيز. *عشرة قرون من الفن المعماري التونسي*. تونـــس: المعـــهد الوطـــني للـــتراث, ١٩٩٦.

[٢] فكري, أحمد. *مسجد الزيتونة الجامع بتونس*. القـــاهرة: المعـــارف, ١٩٥٣.

[٣] البكري, عبيد الله. *المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب*. بغـــداد: مكتبـــة المثـــنى.

[٤] الزركشي، أبو عبيد الله محمد بن ابراهيم. *تاريخ الدولتين الموحديـــة والحفصيـــة*. تونـــس: نشـــر محمد مضـــور ١٩٦٦.

[٥] ابن الشماع، أبو العباس أحمد. *الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولـــة الحفصيـــة*. تونـــس: نشـــر الكعـــاك، ١٩٣٦.

[٦] ابن خلدون, عبد الرحمن. *كتاب العبر*. بـــيروت: دار الكتـــاب اللبنـــاني، ١٩٥٩.

[٧] ابن أبي ديناالقيرواني. *المؤنس في أخبار افريقية وتونس*. تونـــس: المكتبـــة العتيقـــة, ١٩٦٧.

[٨] ابن أبي الضياف, أحمد. *إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعـــهد الأمـــان*. تونـــس: ١٩٦٣.

[٩] عبد الوهاب, حسن حسني. *ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيـــة*. تونـــس: مكتبـــة المنـــار, ١٩٧٢.

[١٠] *الفن العربي الإسلامي*. جـــ٢ فنون العمارة – تونس: المنظمة العربيـــة للتربيـــة والثقافـــة والعلـــوم, ١٩٩٤.

[١١] Lezine, Alexandre. *Sousse les monuments musulmans*. Tunis: Cérès Production, 5 D.

[١٢] Sebag, Paul. *Kairouan*. édit Delpire, 1963.

[١٣] Lezine, Alexandre. *Architecture de l'Ifriqiya*. Paris: 1966.

[١٤] Golvin, Lucien. *Essai sur l'architecture religieuse musulmane*. Paris: 1974.

[١٥] Marçais, Georges. *l'architecture musulmane d'Occident*. Paris: 1954.

[١٦] Mahjoubi, Ammar. *Noouveaux te'moignages 'epigraphiques sur lla Communaute chretienne de kairouan au XI e siecle*. AFRICA: 1966.

[١٧] أرنست، هرتسلفد. *حفريات سامراء*. جـ.١, بغداد: ترجمة علي يحيي منصور,المؤسسة العامة للآثار, ١٩٨٥.

[١٨] زبيس, سليمان مصطفى. *ديوان النقائش التونسية*. تونس, ١٩٥٥.

[١٩] أبو العرب, محمد بن أحمد بن تميم القيرواني. *طبقات علماء افريقية وتونس*. تونس: الدار التونسية للنشر, ١٩٦٨.

[٢٠] الدولاتلي، عبد العزيز. *مدينة تونس في العهد الحفصي*. تونس: دار سراس للنشر, ١٩٨١.

Al- Zaitona Mosque of Tunisia: Ten Centuries of Tunisian Art and Architecture

Abdulaziz Al-Dolatly

National Institute for Heritage, Ministry of Culture
Tunis, Tunisia

Abstract: Since it is founded as a mosque and one of the oldest universities known in the Islamic countries, Al-Zaitona played a great role in spreading Islamic values all over Africa and Morocco.
It is evident that the existing building was built during the Abassid Period in 250 HD (864 AD), as it is shown by the carvings over the Mehrab and on the facade of the external praying hall. The mere mention of the Khalifa's name in the carvings is an indication of the importance given to the building. The mosque was first established in the first century of Higra, when Gortaj, then the capital of Tunisia, opened by Hassa'n Ibn Al-Numan. However, there was nothing left from the original building of the mosque.
The building of Zaitona Mosque was kept intact for the last ten centuries due to the preservations and restoration that took place all through this period. A register of this was found carved on the gypsum board, timber and marble.
In 1996 Tunisia has celebrated the 1300th year of establishing Al-Zaitona. I prepared an article documenting the main architectural and artistic features of the mosque as part of many articles celebrating the occasion. I made use of the available untouched data and even did some excavations to prepare the material for the article "Ten centuries of Tunisian Art and Architecture".
These excavations reveal the richness and versatility of the types, patterns, styles and technology found in this great mosque. The study has unveiled many unknown aspects regarding the architecture of this landmark. These are the history of building technology and decorative techniques used and not known to us. I hope this research will add to the Islamic Art and Architecture Library in Tunisia and the Islamic world.